سياسية ■ إسبوعية ■ مستقلة
تصدر عن مركز الكرامة الإعلامي
العدد (٣) ٢٠١٢/٩/٢٣

الدبلوماسية الميتة في ظل الواقعية الدولية المخيفة

علي الشيخ منصور

اعتراف المبعوث العربي والدولي لسوريا الأخضر الإبراهيمي بأن الأزمة السورية تتفاقم لم يكن مفاجئاً لأحد سواه, فهو الوحيد الجاهل بتفاصيل ما يجري في سوريا كما عبر إثر تكليفه, أو أنه يتجاهل ليقينه بأن المهمة المكلف بها ليست من أجل الحل راهنا, بل هي من أجل اللعب في الوقت الضائع بانتظار صفارة الحكم الذي سيعلن نتيجة الانتخابات الأمريكية, ليعرف الغرب أن تدخلاً عسكريا في سوريا أصبح ممكنا أم لا؟

وفي هذا الوقت المستقطع لا أحد يملك مفاتيح الحل, فالنظام الأسدي ممعن في جرائم إبادة الشعب السوري وتدمير البلد, خصوصا وأن الفيتو الروسي الصيني الذي يحميه لم تصدأ مفاعيله بعد, ولا يوح في الأفق أية إمكانية لتوافق دولي ممكن في مجلس الأمن, وبالتالي هي رخصة جيدة على حساب دم الشعب السوري المسفوح بطريقة سريالية, تناقض المرحلة المعنونة بالدبلوماسية الميتة, التي تستمر منذ أشهر في ظل الواقعية الدولية المخيفة, واقعية انتظار اللحظة الملائمة دوليا للتحرك, والتي عبر عنها الأب باولو دالوليو المطرود من فردوس دير مار موسى الحبشي في جبال القلمون, بقوله «اننا رهائن المصالح الجيوستراتيجية المعقدة», فبينما تبدوا الإدارة الأمريكية مشغولة بسباق البيت الأبيض, يُظهر قيصر روسيا الجديد هوسا عسكريا لأن يستعيد في دمشق مجد إمبراطوريته الآفلة في عهديها القيصري والشيوعي, مستفيداً من انشغالات أوربا بالديون العامة المرهقة لمنطقة اليورو, والتي تنعكس بالضرورة على كل الميزانيات الدفاعية حتى في أمريكا.

وإقليميا تبدو تركيا مشغولة بزلازلها الطبيعية والأخرى الجيوبوليتيكية, فيما تشتغل إيران على تدعيم نظام الأسد بكل الوسائل باعتباره قاعدة الأساس في قوس الممانعة ومواجهة إمبراطورية الشر, ريثما تستكمل برنامجها النووي, وحتى الرئيس المصري محمد مرسي الذي يتدرج في أولى خطوات السياسة, رأى أن يبادر إلى احتضان ملالي طهران في لجنته الرباعية خوفا من النفوذ السعودي القطري في المسألة السورية, وعليه ينتظر الجميع حل المسائل الاستراتيجية المعلقة لكل منهم قبل أن يُفكر بإمكانية إنقاذ الشعب السوري من الموت الكامن له الآن في كل التفاصيل.

الكل متيقن من سقوط نظام الأسد, لكن لا أحد يجزم بتوقيت هذا السقوط, ولا أحد يبدي استعجالاً لحسم هذا الموضوع الذي يدفع الشعب السوري فاتورته شلالات من الدماء يومياً, ولذلك تكثر المبادرات والأطر المشكلة لحل أزمة لا يريد أحد لها حلاً الآن, بدءاً من أصدقاء الأسد في الكرملين الذين يبازرون عليه في مؤتمر انقاذ سوريا, والإبراهيمي الذي يندب باستمرار صعوبة المهمة التي ألقيت على عاتقه, مروراً بأصدقاء سوريا والرباعية في القاهرة ومجموعات العمل التي حظيت بمسمى أو تلك التي ما زالت تبحث عن تسمية لها, وصولاً إلى مشاريع توحيد المعارضة, وتنويعات الحكومات المؤقتة وحكومات المنفى وحكومات الظل, وحتى توحيد الفصائل المقاتلة ضد الأسد ونظامه, ومشاريع المناطق العازلة والأخرى الآمنة, كلها وجدت لاستهلاك اللحظة الراهنة, دون أن يقلل ذلك من أهمية أياً منها, لكننا يجب أن نعرف بأنها الدبلوماسية الميتة, ديبلوماسية لا تريد أن تفعل شيئاً في هذه اللحظة.

ملاحظات من أهل البيت

سامي شيحان

أخيرا عقدت «هيئة التنسيق الوطنية لقوى التغيير الديمقراطي» في سوريا مؤتمرها العتيد تحت شعار «إنقاذ سوريا», بتاريخ ٢٣ أيلول/ سبتمبر. بضمانة صينية وروسية كما أكد منسق الهيئة السيد حسن عبد العظيم, دون أن تمنع هذه الضمانات أجهزة الأمن من اعتقال من أرادت من وفد الهيئة العائد من الصين, في حين عفت عن اعتقال البقية. بل هي سمحت بحضور هيثم المناع المقيم في باريس.

ونحن هنا لن نتوقف مع ملاحظاتنا على عديد القوى المشاركة في هذا المؤتمر, ووهمية بعض اليافطات التي دعيت, ولا عند سمفونية معارضة الداخل مقابل معارضة الخراج التي ملها الجميع, ولن نتحدث عن دلالة حضور سفراء كل من روسيا والصين وإيران والجزائر بدلالة مواقفهم المؤيدة للنظام السوري ومعاضتهم الشعب وثورته, بل سنكتفي ببعض ملاحظات أهل البيت كما وردت في مداخلة عضو المكتب التنفيذي للهيئة كفاح علي ديب والتي نقتطف منها:

١- كلام البعض «عن تغيير وطني ديمقراطي, وربما عن أزمة, وليس عن ثورة شارك فيها ملايين واشتملت على تيارات عديدة».

٢- من يواجه الاستبداد يجب أن يكون نقيضه. ومن ينظر إلى بنيان تنظيماتكم وبنيان قواها يرى التكلس والثبات، كأن المسؤولية الحزبية والسياسية وظيفة يقوم بها موظفون مختصون لا يتغيرون.

٤- نحن مع خطكم ... لكنّ هلّا تداولتم السلطة داخل أحزابكم؟

٥- السؤال هنا مَن هو شعبكم وقاعدتكم الجماهيرية؟ المترددون؟ الموالون؟ ما الذي قدمه هؤلاء لكم ولسوريا إلى الآن؟ أم أن جمهوركم يجب أن يكون أولاً وثانياً وثالثاً الشعب السوري الثائر.

خطف أعضاء قياديين من هيئة التنسيق

اختفى ثلاثة أعضاء من هيئة التنسيق الوطنية وهم: الدكتور عبد العزيز الخير رئيس مكتب العلاقات الخارجية في الهيئة، والأستاذ إياس عياش عضو المكتب التنفيذي للهيئة، والقيادي في حركة الاشتراكيين العرب ماهر طحان عضو الهيئة والذي جاء الى المطار لاستقبالهم. وكان الأعضاء الثلاثة قد فقد الاتصال بهم بعد أقل من نصف ساعة من نقطة مراقبة الجوازات في مطار دمشق. وذلك بعد الساعة الخامسة من عصر يوم الخميس ٢٠ أيلول الجاري. وكانوا على متن إحدى سيارتين جاءتا لتقلهم. وقال بيان حمل الرقم ٢ لهيئة التنسيق ونشر على موقعها الإلكتروني بأن السيارة التي استقلوها تم توقيفها على حاجز لمخابرات القوى الجوية الذي اعتقلهم واقتادهم إلى أحد مقراته.

وكان وفد هيئة التنسيق المؤلف من خمسة أعضاء في زيارة رسمية إلى جمهورية الصين الشعبية الحليفة لنظام بشار الأسد، أجروا خلالها مباحثات مع القيادات الصينية والتقوا بوزير الخارجية الصيني يانغ جيه تشي، وكانت الصين قد حثت الاسد على اجراء محادثات مع المعارضة الداخلية، لكنها دافعت عن نظامه بخطوات كان ابرزها اتخاذها مع شريكتها روسيا حق النقض المضاعف في مجلس الأمن ثلاث مرات متتالية لعرقلة محاولات دبلوماسية لفرض ضغوط على نظام الأسد.

ومن المقرر ان يعقد في سوريا مؤتمر إشكالي لبعض القوى المعارضة في الداخل كهيئة التنسيق الوطنية وقوى معارضة أخرى في ٢٣ أيلول الجاري تحت شعار «المؤتمر الوطني لإنقاذ سوريا»، وهو يحظى بدعم روسي وصيني كبيرين. وقد قام السفير الروسي في دمشق بإبلاغ الهيئة التحضيرية للمؤتمر، برغبة موسكو العميقة في عقد المؤتمر مهما كانت الظروف.

وكان بيان تضامني لتيار بناء الدولة المنسحب من اللجنة التحضيرية للمؤتمر، قد حمّل السلطة السورية مسؤولية عملية الخطف، إما عبر القيام بها وهذا يمثل بقائها على «تعنتها بممانعة الحل السياسي السلمي للأزمة.» أو إذا لم تقم بها فإنها تؤكد «مرة أخرى فقدانها الأهلية في تأمين سلامة وأمان المواطنين المدنيين والعسكريين، وحماية وصون البلاد ووحدتها.»

ويذكر بأن المنطقة التي تمت عملية الاختطاف بها هي منطقة خاضعة بالكامل للسلطات السورية الأمنية.

مخيم اليرموك في اسبوع

أبرز ما حدث خلال الأسبوع الماضي في المخيم هو ظاهرتي الإختفاء القسري للناس، وظهور الجثث مجهولة الهوية، ترافق ذلك مع اقتحام الحجر الأسود والتضامن وتنفيذ مجازر مروعة وتدمير المنطقة.

إذ خرجت مظاهرات يوم الجمعة قبل الماضي في شارع لوبية ومن جامع الوسيم جُوبِهَت بالرصاص، وقد هتفت للدم السوري والفلسطيني الواحد وبإسقاط النظام، وذلك على إثر مجزرة يلدا، البلدة المحاصرة بالنار منذ اسبوع، وراح ضحيتها عشرات الشهداء ومن بينهم ١٥ فلسطينياً. وطاول القصف بقذائف الهاون أطراف المخيم بالقرب من شارع الثلاثين، ولوحظ انتشار للعناصر المسلحة التابعة للجبهة الشعبية– القيادة العامة بالقرب من جامع الوسيم، قامت بحظر التجول، وإطفاء إنارة ساحة نجمة الشام بعد احتلال بناء فيها، وأنزلت الشاحنات حمولات من الرمل لسد منافذ المخيم، ونصبت شبيحة جبريل الحواجز في شارع المالكي بالقرب من دوار فلسطين. ويذكر بأن بياناً صادراً عن لواء الفاتحين في الجيش الحر توعد فيه قوات القيادة العامة بمعاملتها «كمعاملة عصابات الأسد.»

توالى سقوط القذائف يوم الأحد على شارع ال١٥ واستشهد مواطن في محيط فرن الجليل، كما سجل سقوط قذيفتين بالقرب من نجمة الشام، وتم هناك قنص ابو نجم غبش وهو من مقاتلي الجيش الحر. وقام الأهالي بتشييع جثمان الشاب محمود سويد والذي استشهد برصاص قناصة. وعند منتصف الليل رصدت حملة مداهمات للمنازل وتكسير ونهب المحال التجارية في الطرف الغربي من نهر عيشة وتم اعتقال العشرات. كما استشهد شابين أحدهما في أول شارع العروبة من جهة اليرموك، وآخر مجهول الهوية أمام فرن الجليل، وعندما حاول الأهالي إسعافه أطلقت عليهم قذيفة. وسجلت حركة دبابتين نحو الخالصة، واقتحم شبيحة اللجان الفلسطينية المشتركة حديقة الطلائع التي تأوي بعض العائلات النازحة من الحجر.

في يوم الاثنين عثر على جثة شاب مجهول الهوية بجانب معهد البشير، وسقطت ثلاث قذائف على شارع العروبة، وسجلت حالة نزوح كبيرة من العروبة إلى المخيم.

وسجل سقوط عدة قذائف صباح الثلاثاء بجانب الكوسكو مارت، واتجهت سيارات الاسعاف إلى المكان، وشهد أول اليرموك حاجزاً بالاتجاهين جانب حلوة زيدان يقوم بإيقاف السيارات، وبحوزته قوائم اسميه. واستشهد زياد دبور من سكان شارع العروبة برصاصة قناص في الخاصرة أثناء عودته من عمله.

عثر يوم الاربعاء على ١٥ جثة عند دير ياسين في آخر المخيم ومن الضحايا ثلاثة أطفال و٤ سيدات، قضى بعضهم ذبحاً وأعدم آخرون ميدانياً، ترافق ذلك مع اقتحام الحجر الأسود والتضامن. وقامت قوات الأسد باقتحام جامع فلسطين و الوسيم وحديقة الطلائع التي يتواجد بها نازحو المناطق المجاورة و قاموا باعتقال العشرات منهم واقتيادهم إلى شارع نسرين.

وفي يوم الجمعة سجل انسحاب لقوات الجيش النظامي من شارع الثلاثين.

تدمير سوريا..ثم بيعها

أصدر بشار الأسد المرسوم التشريعي رقم ٦٦ القاضي بإحداث منطقتين تنظيميتين في نطاق محافظة دمشق ضمن المصور العام لمدينة دمشق وهما: منطقة جنوب شرق المزة من المنطقتين العقاريتين مزة – كفرسوسة، منطقة جنوبي المتحلق الجنوبي من المناطق العقارية مزة – كفرسوسة – قنوات بساتين – داريا – قدم.

ويعتبر هذا المرسوم خطوة أولية خطيرة في اتجاه استيعاب وتشريع عمليات الدمار الهائلة، التي ألحقتها آلة الحرب السلطوية، ضد فقراء سوريا وشاغلي هذه العشوائيات على أطراف دمشق، والهاربين من الجفاف والبؤس وسياسات حكم آل الأسد وفسادهم، إلى نار القصف العشوائي المميت والحصار الخانق.

كما يؤسس المرسوم لعمليات بيع هذه الأراضي للشركات القابضة والمساهمة، عبر تأسيس صناديق أسهم خاصة بها، مما يؤكد على الطبيعة الريعية لهذه السلطة، وتمسكها بخيار الفوقية واحتقار الشعب وبيع أصوله وأملاكه بعد تهجيره وقتله، في عملية إبادة ممنهجة، لصالح طبقة رجال الأعمال الشرهة وأبناء السلطة، والذين بدورهم يدعمون ويمولون عمليات التدمير لسوريا بغرض إعادة إعمارها عبر عقود حصرية.

الحراك الطلابي السوري-الجذور

عاصي أبو نجم.

في نيسان ٢٠٠٤ قامت القوات الأمنية باعتقال مجموعة من الطلاب الناشطين في جامعتي دمشق وحلب المجتمعين في مقهى الأوركيد قرب المدينة الجامعية في دمشق، وزجتهم في السجن بتهمة التخطيط لإقامة كيان سياسي يهدف لقلب نظام الحكم، وللحقيقة فإن غاية الإجتماع كانت البحث في سبل إنشاء اتحاد وطني بديل لطلبة سوريا، بعد سلسلة من التعديات التي قام بها الإتحاد الوطني لطلبة سوريا المصمم كذراع أمني لحزب البعث الحاكم ضد الطلاب الناشطين في ما عرف وقتها بربيع دمشق، وبإعتقال هؤلاء الطلاب أنهت التسلطية السياسية في سوريا آخر بارقة أمل بالاصلاح السياسي، وأغلقت الباب نهائيا على أحلام السوريين بالتغيير الديمقراطي السلمي، ولكنها وبنفس الوقت، أعلنت وبصراحة أن تغيير تسلطية سياسية ذات سمات شمولية كهذا غير ممكن إلا بالثورة.

يمتد النضال الطلابي في سوريا عميقا في تاريخ الدولة السورية الحديثة، فلقد كان لطلاب المدارس دور حقيقي في استنهاض الهمم وتحريك الشارع في المدن الرئيسية ضد سياسات الانتداب الفرنسي، وكان لجامعة دمشق والتي عرفت بالجامعة السورية عند تأسيسها ١٩٢٣ دور هام جدا في قيادة الاضرابات المدنية الموجهة لانهاء الاحتلال الفرنسي. وفيها حدث الامتزاج الأفضل بين طلاب سوريا الوافدين من جميع المحافظات، وتعريفهم بثقافاتهم المحلية، وانفتاحهم على بعضهم كأخوة وشركاء في الوطن، وتشكيل الهواجس والأحلام الأولى لبناء سوريا كبلد أفضل لأبناءه والاستجابة لمتطلبات الحداثة ومواكبة التطور في العالم، ونفض غبار التركة العثمانية عن البلد، وإعادة تأسيس الدولة وتشكيلها ضمن أحلام ومشاريع جريئة حملها الطلاب، توائمت مع مشاريع سياسية لأحزاب وقوى بدأت بالظهور بعد ذلك بقليل، من الكتلة الوطنية إلى الحزب الشيوعي في العشرينيات، مرورا بالإسلاميين والقوميين، في منتصف الأربعينيات، ولم تكن الجامعة تضم سوى كلية الطب، وكلية الحقوق، والمجمع العربي، ودار الآثار العربية، وظلت هكذا حتى منتصف الخمسينيات حين ضمت كلية الآداب، وكلية العلوم والمعهد العالي للمعلمين، وفي هذا الوقت تأسست كلية الهندسة في حلب، وكلية الشريعة. يعكس التكوين الأولي لجامعة دمشق الأولويات التي شهدها التعليم في سوريا، حيث يقع الطب والحقوق في المرتبة الأولى، وهذا يجسد الرغبة في تشكيل الدولة ومؤسساتها بالدرجة الأولى، مع الحفاظ على الصحة العامة، ورغم الإشكاليات التكوينية–الهيكلية في الدولة السورية الناشئة، إلا أن علاقة وطيدة جدا ربطتها بجامعة دمشق، وليس أهم أركانها أن معظم رجالات الدولة الفتية كانوا من روادها.

كانت الجامعة بخاصة والمدارس بعامة الحديقة الخلفية، لترعرع الأفكار السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وشهدت إبان الاستقلال وبعده نشاطا حزبيا كثيفا، في بلد يخرج لتوه من الأمية والحياة البدائية، وكانت الدروس غالبا ما تقاطع والتعليم يتوقف، بسبب من الظروف السياسية المتواترة في المنطقة، واندماج الطلبة في هذا الفضاء العام من العمل الوطني، فمن المظاهرات المنددة بالنكبة وظهور دولة اسرائيل، إلى مقاومة حلف بغداد، والتضامن مع الثورة المصرية، واستنكارا لحالة الانقلابات العسكرية في سوريا أو تأييدا لها، وغير ذلك من الأحداث الدولية والعربية والمحلية، مما شكل مطبخا حقيقيا للوعي السوري الجمعي، تلاقت فيه الثقافات وتطعمت بنكهات الأساتذة العائدين من الخارج، المحملين بأفكار ثورية جديدة، تراوحت بين هامش واسع من النظريات والرؤى التحديثية، مع نزعة قوية للتعريب، وإيجاد نموذج سوري خاص، ترافق ذلك مع شراكة حقيقية من المرأة، كطالبة في المراحل الأولى ومعلمة وأستاذة لاحقا، بداية من الأوساط المدنية البرجوازية في دمشق، وتعميما إلى كل المناطق السورية لاحقا، مما وفر ظرفا حقيقيا ساعد في إزالة غبن تاريخي واقع على المرأة.

استمر الحال كذلك حتى قدوم حزب البعث العربي الإشتراكي إلى الحكم، إثر انقلاب عسكري قاده بتاريخ ٨ آذار ١٩٦٣، وبدأ بعدها التململ من حراك الطلاب، وضيق الصدر بهم، وتمت محاولات إحتوائهم عبر ابتكار مؤسسات عقائدية مهمتها الأولى والأخيرة تجنيد الطلاب، وغسل أدمغتهم، وتحويلهم رويدا رويدا إلى أعضاء كاملين في حزب البعث، في ظل ظرف عام من الإحتقان السياسي والعزلة الذي رافق تلك المرحلة، ومرارة الهزيمة الخانقة في حرب عام ١٩٦٧، ومع ذلك ظل الطلاب بشكل عام شديدو التفاعل مع المسألة الوطنية من خلال التجنيد في الجيش والقوات المسلحة، والانضمام الطوعي إلى الجيش الشعبي بل والانضمام إلى حركة المقاومة الفلسطينية، بكل فصائلها، وقتال العدو الصهيوني، في سوريا وفي لبنان.

إلا أن نقطة التحول النوعية كانت مع وصول وزير الدفاع أنذاك حافظ الأسد إلى سدة الحكم عبر إنقلاب عسكري في تشرين ١٩٧٠، وتتويج حزب البعث قائدا للدولة والمجتمع، وحصر السياسة في جبهة وطنية تقدمية، ضمت مجموعة من الأحزاب التي وافقت على ميثاقها، وإعتزلت العمل السياسي في صفوف الطلاب والجيش، الذين أصبحوا ملكية شخصية لحزب البعث، عبر منظماته الشعبية الرديفة، بدءا بمظمة طلائع البعث لطلاب المرحلة الإبتدائية، مرورا بمنظمة إتحاد شبيبة الثورة في المرحلة الإعدادية والثانوية، وصولا إلى الإتحاد الوطني لطلبة سوريا في المرحلة الجامعية، وما يلفت الإنتباه هو آلية الإنتساب التلقائية للطلاب إلى المنظمات السابقة، عبر طلبات توزع عليهم، يقومون بإملائها، ويسجلون فيها أول تقارير أمنية عبر الإعتراف عن العائلة بكاملها، وتوجهاتها الحزبية والفكرية، في تمرين أولي على الوشاية وتفكيك المجتمع إلى أفراد متنافرين خائفين من بعضهم.

لقد تمت محاولات جبارة لتدجين شباب سورية، وغسل أدمغتهم، ووضعهم تحت السيطرة، عبر الرقابة والتخويف والترهيب، وتنمية مشاعر الضغينة بينهم، واستدراج أضعفهم، وأكثرهم سوءا إلى الأجهزة الأمنية، عبر مغريات كثيرة، تبدأ بالتفوق الدراسي المفاجئ ولا تنتهي بالبعثات الدراسية والمنح في الخارج، على حساب الحزب والدولة، مقابل التجسس على بقية الطلاب، والعودة بشهادات مدفوعة وخاصة من بلدان المنظومة الإشتراكية سابقا، والراضية عن دور سوريا المتقدم في خط التطور اللارأسمالي وهو خط صيغ نظريا في حالة تزييف ونفاق وعماء مطلق، لمسايرة بعض الدول ذات أنظمة الحكم الشمولية البوليسية، مثل سوريا ومصر وغيرها.

وصار الخط التصاعدي للجامعات والمدارس معاديا للعلم والكفاءات، فاستبعد الأساتذة الأكفئ عند ظهور أول إشارة على عدم الولاء، بحجة معادة الأهداف الاشتراكية للثورة! وحوصروا ولوحقوا، وطلب من الباقين الرضوخ تماما، والجلوس في الصندوق السوري المغلق، شديد الرطوبة والعتمة، وأجبر الطلاب على الدراسة من مناهج تحريضية قومية، تعادي الإنسان الحر وتقدس السلطة المتمثلة بشخص القائد على حساب وجوده الإنساني، مما شكل حالة من الإغتراب عند الشباب، عبر استدامة الخوف والرعب، أمام كل المحن التي مرت بها سوريا، حيث تم تكميم الأفواه، وتغييب المعارضين إلى الأبد قتلا أو في سجون لا تفتح فاهها إلا للابتلاع. فمن حرب تشرين إلى التدخل العسكري السوري في لبنان، وصولا إلى كامب ديفيد، وبروز محور الصمود والتصدي بين البعثين الحاكمين العدوين في سوريا والعراق، إلى الأزمة المجتمعية الأشد في تاريخ سوريا، اعتبارا من ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٢ خاضت السلطة السورية حربا حقيقية ضد المجتمع، في مسعى لإرضاخه وتركيعيه، وتمثلت بصدامات دامية مع جماعة الأخوان المسلمين، أسفرت عن تدمير مدينة حماة، ومقتل عشرات الآلاف، وتغييب مئات الآلاف في السجون قسرا وتعذيبهم حتى الموت، وإنهاء كامل مظاهر الحياة المدنية في المجتمع، ووضع الجميع تحت قوس المسائلة الأمنية، وإغراق البلد بالفساد، ونهب الثروات، والمحاصصة والمحسوبيات، وتدمير كل فعل تضامني شعبي، وإرجاع الحالة المدنية إلى الحالة الأهلية المتمثلة بالعائلات والعشائر، وحل النقابات وإحضار قيادات أمنية لها، بما في ذلك الإتحاد الوطني. ونال الطلاب من هذه الحرب الداخلية الكثير، إذ جرى احتلال الجامعات من قبل القوى الأمنية وإغلاقها إثر مشاركة الطلاب في الإضراب العام المعلن حينها، وكان لجامعة حلب دور مميز حينها، وتمت تصفية العديد من المدرسين في الجامعات، المعارضين لحكم الأسد ضمنا، وإلصاق التهم بالعصابات المسلحة، وإعتقال مئات الطلاب، وتعريضهم للتعذيب والإختفاء القسري، فوق ذلك سرق الحلم من طلاب سوريا، وانحنوا تحت وطأة الخوف من الموت، وصارت الجامعات مكانا للتشييح العلني وشراء الذمم، واستقال التعليم من وظيفته الرئيسية في التنوير، لصالح حشو ولغو في كتب لا تمت إلى الحياة بصلة، وأبنية مدرسية تشبه المعتقلات، ونظام عسكري قسري إرهابي، وصمت مطبق يقطعه كل صباح شعارات جوفاء تصرخ بها حناجر يابسة: قائدنا إلى الأبد، الأمين حافظ الأسد.

لم يطرأ بعد ذلك التاريخ تغيير جوهري في عمق المؤسسة التعليمية، وإن ظهرت تغيرات شكلية، رافقت التقدم التقني التطوري العام، أو ترهلات عامة في جسد المؤسسات البيروقراطية العصية على التغيير، وكان الانتقال إلى عهد بشار الأسد سلسا، وسط وعود بالاصلاح، لم تعش طويلا حتى تم القضاء على شقها السياسي، بانهاء ربيع دمشق واغلاق المنتديات وحملات الإعتقالات التي طالت الكثيرين من نشطاء الجامعات.

لكن الزمان لا يعود إلى الوراء، وتراكم كل هذا الحقد ضد الناس، المذلين المهانين المفقرين المهمشين، وانعدام فرص العمل لدى الشباب بنسب مرعبة وخصوصا عند المتعلمين منهم، وانسداد الآفاق بالعيش الكريم أمامهم، والذاكرة الحية التي ترافقهم، من جيل إلى جيل، والمخبوء فيها من ألم وحسرة، وذلك التطلع الخفي الى الحرية الذي يراود الشباب في أعز أحلامهم، خط بأصابع رقيقة لطلاب المرحلتين الأساسية والمتوسطة، في درعا البلد، وعلى جدران مدارسهم–سجونهم بالذات الشعار المفتاح للثورة: الشعب يريد اسقاط النظام.

سورية: أدلة جديدة تثبت أن الحصيلة المرتفعة للخسائر في الأرواح بين المدنيين ناجمة عن حملة الهجمات العشوائية

دوناتيلا روفيرا- كبيرة مستشاري منظمة العفو الدولية لشؤون الاستجابة للأزمات
١٩ سبتمبر ٢٠١٢

في معرض تقرير جديد أصدرته، صرحت منظمة العفو الدولية بأن المدنيين، وخاصة الأطفال، هم جُل ضحايا حملة الهجمات العشوائية التي يشنها الجيش النظامي السوري دون هوادة.

ويستند التقرير الموجز على تحقيقات ميدانية مباشرة قامت بها منظمة العفو الدولية خلال النصف الأول من شهر سبتمبر/ أيلول الجاري، وذلك للوقوف على تفاصيل مقتل ١٦٦ مدنياً، بينهم ٤٨ طفلاً و٢٠ امرأة، جراء الهجمات التي تسببت أيضاً بجرح المئات في ٢٦ بلدة وقرية في مناطق إدلب وجبل الزاوية وشمال حماه.

ويُبرز تقرير الإحاطة الحالي أدلة جديدة تشير بوجود نمط قد طفى على السطح خلال الأسابيع القليلة الماضية في المناطق التي تمكنت قوات المعارضة فيها من دحْر قوات الحكومة، حيث دأبت هذه الأخيرة على اللجوء إلى القصف العشوائي للمناطق التي خسرتها بالقنابل والقذائف – الأمر الذي عاد بنتائج كارثية على المدنيين من سكان تلك المناطق.

قالت دوناتيلا روفيرا، التي عادت لتوها من شمال سورية: «تقوم قوات الحكومة بقصف البلدات والقرى بشكل روتيني منتظم بالقنابل والقذائف، مستخدمةً أسلحة تصلح للقتال في ميدان المعركة وليس لإصابة أهداف محددة، وذلك على الرغم من علم تلك القوات بأن ضحايا ذلك النوع من الهجمات العشوائية سوف يكونون حتماً من المدنيين في أغلب الأحوال. وما كان ينبغي استخدام هذا النوع من الأسلحة أصلاً في استهداف المناطق السكنية».

وأردفت روفيرا قائلةً: «ولم تحْظَ المحنة التي يعيشها سكان تلك المنطقة من سورية بالتغطية الإعلامية الكافية جراء تركز اهتمام العالم على الاقتتال الدائر في حلب ودمشق إلى حد بعيد. بيد أن الأهوال التي يمر بها أهالي إدلب وجبل الزاوية وشمال حماه بشكل يومي هي أيضاً مروعة ومفزعة بالقدر نفسه. وتجدر الإشارة هنا إلى أن شن هذا النوع من الهجمات العشوائية يُعد بمثابة ارتكاب جريمة حرب».

ويُقتل المدنيون أو يُصابون بجروح وهم يتواجدون في منازلهم، أو يمشون في شوارعهم، أو يُهرعون طلباً للاحتماء من القصف، أو وهم يقيمون في الأماكن التي قصدوها طلباً للمأوى. ففي ١٦ سبتمبر/أيلول الجاري، قُتل ثمانية مدنيون، بينهم خمسة أطفال، وجُرح آخرون كُثُر إثر سلسلة من الضربات الجوية في كفر عويد وجبل الزاوية. وقال سكان المنطقة لمنظمة العفو الدولية بأن سبعة من بين الضحايا قد قضوْا أثناء حضورهم لحفل زفاف، فيما سقط آخرون من سكان المنازل القريبة من موقع الاحتفال، فيما قُتل طفل يبلغ من العمر ستة أعوام وهو يشتري الخبز.

ويتكرر النمط ذاته في جميع المناطق التي أصبحت خاضعة للسيطرة الفعلية لقوات المعارضة.

ولقد كانت منظمة العفو الدولية شاهداً على عمليات القصف الجوي والمدفعي اليومية ونظيرتها التي استُخدمت قذائف الهاون فيها واستهدفت البلدات والقرى في أرجاء المنطقة كافة. ولقد نجم عن نشر واستخدام هذا النوع من الأسلحة غير دقيقة التوجيه والمعدة للاستخدام هي وذخائرها في أرض المعركة حدوث ارتفاع خطير في الخسائر بين صفوف المدنيين في المناطق التي استُهدفت خلال الأسابيع الأخيرة.

ولقد أوقعت هجمات من هذا النوع ٣٥ قتيلاً في صفوف المدنيين من سكان قرية كفر نبل، وذلك جراء غارتين منفصلتين استهدفتا المنطقة في قصف جوي. وفي ٢٨ أغسطس/ آب الماضي، تعرضت منطقة السوق في القرية لأربع ضربات جوية مما أوقع ٢٢ قتيلاً من المدنيين.

وفي ٢٢ أغسطس/ آب الماضي أيضاً، تسبب قصف مدفعي للمنطقة القريبة من أحد محال البقالة بوقوع ١٣ قتيلاً في صفوف المدنيين، بينهم زاهية العابي (٣١ عاماً) التي كانت تجمع الأكياس البلاستيكية في القرية وتبيعها كي تُعيل والدتها وشقيقاتها وشقيقها المعاق ووالدها الكفيف.

وتدفع الهجمات التي تستهدف المستشفيات والواقفين في طابور الخبز لتوقع خسائر كبيرة في صفوف المدنيين، إلى الاعتقاد بأنها تستهدف عن قصد وسابق إصرار على ما يظهر التجمعات الكبيرة للمدنيين، وهو ما يشكل انتهاكاً للقانون الإنساني الدولي، وجريمة حرب.

ويُبرز العدد الكبير للقتلى من بين الأطفال الذي حرصت منظمة العفو الدولية على توثيقه الطبيعة العشوائية التي تطغى على الهجمات التي يشنها الجيش النظامي في سورية. فلقد تسببت إحداها بمقتل أربعة أطفال، هم غفران حبوب وشقيقها واثنين من أبناء عمها، عندما تعرض منزلهم للقصف بتاريخ ١٤ أغسطس/ آب الماضي في قرية «شلخ» على مقربة من إدلب.

وما هي سوى بضعة أيام، أي في ١٨ أغسطس/ آب الماضي، حتى سقطت قذيفة هاون من عيار كبير في أحد شوارع معرة النعمان، جنوب إدلب، متسببةً بمقتل أربعة أطفال أثناء لعبهم أمام منازلهم، وهم هاجر رجوان وإيناس صبوح البالغتين من العمر خمسة أعوام، إضافة إلى ابنتي عمهما البالغتين من العمر ١٠ أعوام و١١ عاماً على التوالي.

وقد قُتل البعض الآخر من الضحايا أثناء فرارهم للاحتماء من القصف، أو أثناء تواجدهم في الأماكن التي لاذوا بها. وفقد المئات أرواحهم أو جُرحوا، بينهم العديد من الأطفال، خلال الأسابيع الأخيرة فقط، أي منذ أن شنت قوات الحكومة السورية حملة لا هوادة فيها من القصف الجوي والمدفعي العشوائي.

ومع ذلك كله، فلا زالت الخلافات والانقسامات تشل حركة المجتمع الدولي وتمزقه، مما حال حتى الساعة دون ممارسة أي ضغوط فعلية على المسؤولين عن شن مثل تلك الهجمات.

وغني عن القول أن شن هذا النوع من الهجمات العشوائية يُعد بمثابة ارتكاب جرائم حرب، وينبغي أن يعي المسؤولون عنها – سواء أكانوا في أعلى هرم تسلسل القيادة أم في أدناه – أنهم سوف يخضعون للمحاسبة على ما أقدموا عليه من أفعال، وأنهم سوف لن يكون بوسعهم التذرع بأنهم كانوا يمتثلون للأوامر الصادرة إليهم.

وينبغي على مجلس الأمن أن يبادر إلى تسريع عملية المساءلة والمحاسبة، وذلك من خلال القيام بإحالة ملف الأوضاع في سورية إلى مدعي عام المحكمة الجنائية الدولية من أجل ضمان مقاضاة مرتكبي جرائم الحرب تلك وغيرها من الجرائم ضد الإنسانية بموجب أحكام القانون الدولي.

وقالت دوناتيلا روفيرا: «ينبغي على الدول الأعضاء في مجلس الأمن أن يضعوا جدالاتهم السياسية جانباً، وأن يمنحوا أولية اهتمامهم للضحايا قبل كل شيء».

وأضافت: «من شأن القيام بإحالة ملف الأوضاع إلى المحكمة الجنائية الدولية أن يرسل برسالة قوية إلى المسؤولين عن ارتكاب جرائم يعاقب القانون الدولي عليها، وذلك كي يدركوا بأنه قد ولّى عصر الإفلات من العقاب، وبأنه يتعين على جميع الأطراف المتورطة في النزاع – سواء أكانت من قوات الحكومة أم المعارضة – التفكير ملياً قبل الإقدام على ارتكاب هذا النوع من الانتهاكات».

كما ولجأ مقاتلو المعارضة أحياناً إلى استخدام الأسلحة التي لا تتمتع بدقة التوجيه (من قبيل قذائف الهاون)، أو الأسلحة المعدة للقصف العشوائي أساساً (من قبيل الصواريخ المصنعة محلياً) في المناطق السكنية المأهولة، مما فاقم من مستوى الخطر المحدق بسكانها المدنيين. ومع استمرار دوامة العنف والنزاع، وفي حال نجاح مقاتلي المعارضة في مساعيهم الرامية إلى شراء أسلحة ذات مدى أطول، فثمة خطر من قيامهم بإعداد العدة لشن هجمات عشوائية وارتكاب غير ذلك من الانتهاكات التي لم يكن المجتمع الدولي راغباً في وقف ارتكاب الحكومة لها على نطاق واسع أو قادراً على ذلك.

ويتعين على جماعات المعارضة السورية المسلحة كافة – بمن فيها مقاتلي الجيش السوري الحر – وغيرها من الجماعات أن تحرص على التوضيح لعناصرها بشكل لا لبس فيه أن حقيقة انتهاك القوات الحكومية للقانون الإنساني الدولي لا يعطي غيرهم عذراً لارتكاب انتهاكات خطيرة مماثلة، وأن تلك القيادات سوف لن تتهاون مع مثل هذه الانتهاكات.

https://www.amnesty.org/ar/news/syria-new-evidence-high-civilian-death-toll-campaign-indiscriminate-attacks-2012-09-19

في بعض سمات المقاومة الشعبية المسلحة.

عاصي أبو نجم.

المقاومة الشعبية المسلحة هي قوات مكونة من قسمين رئيسين: منشقون عن الجيش النظامي، وهم غالبا متطوعون برتب صغيرة، أو ملزمون بتأدية خدمة العلم، وهم يعكسون بنية المجتمع السوري وتكوينه. وقد قاموا بالانشقاق عن الجيش النظامي لما شاهدوه من عمليات همجية ضد الشعب الأعزل، وما لمسوه من تمييز وتفرقة وظلم وتهميش، ضمن هرم السلطة لجيش، تقوم عقيدته على طمس الحقائق وتزويرها، ومسح أدمغة منتسبيه، وإثارة الكراهية والضغينة في نفوسهم ضد إخوتهم وأبناء جلدتهم، وزج السوريين في معارك ضد بعضهم، والضرب بقوة نارية كثيفة، هو وحده من يحوزها، إذ يمتلك تفوقا عسكرياً، متمثلاً بترسانة من أسلحة الجو والبحر والبر بما في ذلك الأسلحة غير التقليدية، لا يمكن مقارنتها بأي حال بما يملكه المنشقون من أسلحة فردية وذخيرة محدودة.

والقسم الثاني هم المتطوعون المدنيون، وهم شباب دفعهم بطش السلطة إلى حمل السلاح دفاعاً عن النفس، وهم يعكسون أيضا البنية السورية المجتمعية، لكونهم ينتمون غالبا إلى الفئات الأكثر فقرا وتهميشا وغضبا، أي أن جلهم من الذين تدهورت أوضاعهم المعيشية، أو انهارت أسرهم وعائلاتهم نتيجة المذابح خلال حرب السلطة المفتوحة ضد المجتمع.

إن النواة الرئيسية للمقاومة الشعبية هم شباب سوريون دفعتهم الحمية والغضب لحمل السلاح للدفاع عن مجتمعهم وبيئاتهم المحلية وثورة شعبهم ضد النظام وآلته العسكرية، وهم بهذا يمثلون الوجه المسلح للثورة. وقد تداخل المكونان العسكري والمدني، في كيمياء صعبة للتوفيق بينهما، بما يتطلب التنظيم ضمن سلاسل وعلاقات هرمية، تحتمل التناقض والتناحر في عدة اتجاهات، وأهمها ضمن القيادات العسكرية العليا وارتباطاتها وولائها السياسي ومصادر تمويلها والإيديولوجيات التي تحملها، ومع فصائل متشكلة على الأرض ترفض التوحد وتعمل ضمن غاياتها ومصالحها وفهمها لطبيعة المرحلة.

يقال الكثير في مساوئ وأخطاء العسكريين الثوار، إلا أن وجها مشرقا يتبدى على الأرض يعكس قيم المنضويين تحت ألوية المقاومة الشعبية، ويتمثل في الكفاحية العالية في الدفاع ضمن خلل فاضح في ميزان التسلح، إلا أن منتسبيها وبحكم انتمائهم الاجتماعي، يقومون بأعمال غير قتالية تستوجب التوقف عندها، كحصد الأرضي المزروعة بالقمح حماية لها من الحرق على يد السلطة، وتأمين استمرار العمل في الكثير من المخابز، من خلال استلام وردیات العمل فيها، كما أنهم يخوضون معاركاً ضد اللصوص وقطاع الطرق، ويقومون بمحاكمتهم أحيانا. كما تمت من قبلهم عمليات إنهاء للكثير من التعديات على الممتلكات العامة والإشراف على توزيع الماء عبر الأقنية الزراعية ومنع التعدي عليها، والمساهمة في الإفراج عن المخطوفين لدى جماعات أخرى تعمل لحسابها بغرض الفدية، أو لوقف افتعال التوتر الطائفي في مناطق بعينها، كما تولوا عمليات تأمين الوقود، والغذاء والدواء وإيصاله إلى المحتاجين ضمن ظروف كارثية من القصف والقتل العشوائي والمذابح الجماعية.

إن في كم الحكايا والقصص التي يتداولها الناس عن الجيش الحر بفصائله وكتائب المقاومة الشعبية ما يرفعه من مستوى الحدث اليومي الواقعي إلى الأسطورة، في مزج مقصود يكامل بين واقع فعلي يخطه مقاتلوا الجيش الحر من جهة واسباغ لمتخيل حكائي عليهم من قبل الناس من جهة آخرى في مواجهة موت جبري يحمل صفة المذبحة المتنقلة، لا راد له سوى حماة حقيقيون يشبهون الناس وتختلط بينهم العلاقات وتتشابك، لتصل إلى شعارات من النوع التالي: «اللّه محيي الجيش الحر، الجيش الحر اللّه يحميه، الجيش الحر ويا حامينا»، فتتساوى عمليات الحماية المتبادلة بين الشارع المنتفض والجيش الحر، وفي أحيان كثيرة لا يمكن الفصل بينهم.

المجالس المحلية وتنظيم شؤون السكان المدنيين

يم. درويش

طال أمد الثورة السورية بما لم يعرفه الربيع العربي في الكثير من ثوراته التي انتشرت مطلع العام المنصرم، واشتدت وحشية النظام الأسدي في قمعه الحراك الشعبي، ومجازره المكثفة ضد المدنيين، وتدميره البنى التحتية في المدن والبلدات السورية التي ثارت ضده، وبشكل خاص بعدما فقد السيطرة على الكثير من المناطق والمدن السورية، وكاد نفوذه في بعض المدن الأخرى يتلاشى وينحسر كليا أو جزئيا، بما يبشر بقرب ساعة الرحيل، مما استتبع بالضرورة البحث عن آليات التسيير الذاتي لأمور الخدمات والبنى التحتية، بما يؤمن حياة السكان المدنيين في شروط استثنائية للغاية، فظهرت مبادرات لتشكيل مجالس محلية، مبادرات ذاتية أولاً وبرعاية بعض أطراف المعارضة كلجان التنسيق والمجلس الوطني أو الجيش الحر بشكل خاص تالياً.

وقد اعترفت المتحدثة باسم وزارة الخارجية فيكتوريا نولاند في مؤتمر صحفي يوم ٢٩ اغسطس/ آب أن الولايات المتحدة الأمريكية تنفذ «برامج تدريبية» لأعضاء المجالس المحلية في مناطق المعارضة «المحررة» والذين بدأوا بإعادة تأسيس نوع من السلطات المدنية الجديدة، لافتة إلى أن تلك البرامج تساعدهم على قضايا الإدارة المدنية، وقطاع الخدمات والمرافق العامة، كالرعاية الصحية والتعليمية والتجارية وإعادة تشغيل المرافق المعطلة كالمدارس والمستشفيات والطرق والأسواق وخدمات الماء والكهرباء والاتصالات، إضافة لمهمة الحفاظ على الأملاك العامة والوثائق الموجودة في مؤسسات الدولة، والعمل على استعادة الأمن والاستقرار والسلم الأهلي أيضاً، كما يجري التأكيد حول قضايا مثل «دمج وحماية الأقليات واحترام حقوق الإنسان».

وعن حجم ومساحة المناطق التي أصبحت خارج سيطرة النظام، قالت نولاند أن «مساحات كبيرة» من البلاد هي الآن بعيدة عن قبضة النظام في الشمال والشرق، وبصورة متزايدة، بين بعض المدن الرئيسية، ولكن القتال يشتد في حلب ودمشق وبعض المراكز السكانية الرئيسية.

وفي هذه الأثناء أطلقت مجموعات من المعارضة السورية الموزعة بالداخل والخارج وعلى رأسها المجلس الوطني السوري والجيش الحر مشروع المجالس المدنية لإدارة المناطق المحررة في هذه الفترة على أن تتوسع هذه التجربة لتغطي مساحة سوريا كلها مع سقوط النظام.

هذه الفكرة التي انطلقت من واقع غياب سلطة الدولة في المناطق المحررة وشلل قطاع الخدمات العامة الذي أعاق حياة السكان وأنشطتهم الاقتصادية، لتجيء المجالس المحلية كجزء من مرحلة انتقالية فرضتها الضرورة والظروف الراهنة، لكنها ستعمل على تمهيد عملية انتخاب إدارة مدنية جديدة تحت سقف الدستور الجديد الذي سيقره الشعب السوري بعد تحرير سوريا.

وقد شهدنا تجربة رائدة في دوما ويجري تعميمها في العديد من بلدات رف دمشق ومحافظات إدلب وحماة وأريافهما، كما نقلت صحيفة «واشنطن بوست» عن تجربة مدينة «صوران» في ريف محافظة حماة فقالت: ان المجلس المحلي يقوم بتنظيم الشؤون اليومية لها ويجتمع اعضاؤه الاحد عشر في الشارع العام، حيث يناقشون وهم يشربون الشاي مطالب البلدة، ونقلت عن احد اعضاء المجلس، رجل الاعمال فايز حمشو قوله «هذا شيء جديد بالنسبة لنا» ولكن عندما هرب رجال الحزب والامن اصبحنا مسؤولين عن حل مشاكل البلدة وتلبية احتياجاتها.

تجربة الديمقراطية الجديدة يجري تعميمها في أغلب المناطق التي تقع تحت سيطرة المقاتلين فالحكم الذاتي بدأ يشكل نواة سلطة مدنية حتى لو شارك فيها عناصر من الجيش الحر، ففي ظل القصف والغارات يتقدم مسؤولون من المعارضة لإدارة البلدات التي لم تعد للحكومة فيها سيطرة، ويبادرون إلى الكثير من التفاصيل بدءاً بجمع النفايات وتوزيع الطعام مروراً بحل المشاكل العالقة واسكان المشردين وتوزيع مشتقات الوقود.

الرباعية أم الثلاثية؟ وخطورة الدور الإيراني

السوسن الدمشقي

قبيل زيارة الرئيس المصري محمد مرسي لحضور قمة عدم الانحياز في طهران أطلق مبادرة باسم «اللجنة الرباعية» من اجل ايجاد مخرج سياسي للازمة السورية يوقف سفك الدماء, على أن تتشكل من الدول الاقليمية العظمى في المنطقة، وهي السعودية وتركيا وايران الى جانب مصر الدولة الداعية, وكان يمكن لهذا الاقتراح أن يوأد في مهده, وبشكل خاص بعد الخطاب الذي ألقاه مرسي في القمة وترك التباسات عديدة بين القاهرة وطهران.

غير أن القاهرة التي تبحث عن دور اقليمي أضاعته التحولات التي رافقت مجيء الإخوان المسلمين للسلطة, دون أن تحرز استقرارا سياسيا بعد في المستويات الداخلية والدولية, والتخوف لديها من تنامي الدورين السعودي والقطري في المنطقة, لدرجة المجازفة بتعديل الوزن السعودي حتى لو كان عبر الوزن الإيراني, مع تصور أن يشكل الكوبري/ أو الجسر المفترض أو المضمر بين القاهرة وأنقرة ضمانة عدم الانزلاق وراء سياسة طهران المنحازة كلية للمنظام السوري.

من جانبها, وجدت طهران ضالتها المنشودة في مبادرة الرئيس المصري, وبشكل خاص بعد أن فشلت كل المساعي الروسية لإدخالها نادي الدبلوماسية الدولية في الشأن السوري حتى في مستوى «مجموعة العمل الدولية» التي أشرفت عليها في جنيف, فتمسكت بالمبادرة نشطت دبلوماسيتها سريعا باتجاه الانتقال بها إلى حيز التنفيذ, لكسر عزلتها الدولية والاقليمية من جهة, ورغبة باستعادة العلاقات الدبلوماسية والتجارية مع مصر كأحد خيارات خرق الحصار الاقتصادي الغربي المفروض عليها بسبب سياستها النووية, لكن الأهم بالنسبة لنظام الملالي في طهران حتى لو فشلت المبادرة الرباعية, أن تكون منحت النظام السوري فرصة إضافية للعب بالوقت المستقطع, عسى

يقتل أكثر من الشعب السوري, ويعيق انتصار الثورة.

أما تركيا التي انحازت مبكرا للثورة السورية داعية لإسقاط النظام, فهي مكبلة الأيدي دون قرار دولي من الأمم المتحدة أو تفويض غربي بأقل تعديل, إضافة لما تعانيه من تداعيات الثورة السورية في مستوى اللاجئين أولاً, وفي مستويات السياسة الداخلية وبشكل خاص ما يتعلق منها بالملفين الكردي والطائفي, وتخوفها من قدرة النظام السوري على اللعب بهاذين الملفين, لذلك كله تبدو السياسة التركية باستمرار متناقضة, بين دعمها السياسي للثورة وبين تلكؤها في خوض مواجهة مباشرة مع النظام السوري, قد تجر إيران إلى صراع لا ترغبه أنقرة الآن, بحيث تبدو المبادرة المصرية تأجيل مرغوب لخيارات لم تحسم بعد, دون أن تخفي أنقرة رغبتها بتجسير المد الإسلامي الذي يصلها بالقاهرة.

وأخيراً تبقى العربية السعودية التي غابت عن أول اجتماع للجنة الرباعية ليل الاثنين ١٧/ ٩ /٢٠١٢ الذي انعقد على مستوى وزراء الخارجية، متعللة بالحالة الصحية لوزير خارجيتها الامير سعود الفيصل الذي خضع لعملية جراحية, دون أن تقنع أحدا بهذا السبب, إذ سبق لنائبه أن مثل المملكة في مؤتمر عدم الانحياز وفي لقاء منظومة اصدقاء سورية الذي انعقد قبل ذلك في باريس, وهما أهم من اجتماعات الرباعية فيما نعتقد, مما يفضح الأسباب الخفية لعدم مشاركتها, باعتباره رفضاً للسياسة الإيرانية التي تدعم نظام الأسد بالمال والعتاد, وتأكيداً لعدم رغبتها دخول طهران إلى نادي الدبلوماسية الدولية بعدما حدث في مؤتمر القمة الإسلامية في مكة, وبشكل خاص فيما يتعلق بسوريا, ومحاولة للتريث في شأن الدور الإقليمي للسلطة الإسلامية في مصر, رغم تأكيد وزير الخارجية المصري ان حكومته ستطلع المملكة على ما جرى تناوله في الاجتماع الرباعي الذي غابت عنه.

لكن السعودية التي حوّلت الرباعية إلى ثلاثية عرجاء وفق وصف أحدهم, عملت على التنسيق مع أنقرة لتعديل النفوذ الإيراني العتيد, فاستقبلت السيد إرشاد هرمزلو نائب الرئيس التركي, حيث اتفق الجانبان بذل جهودهما «لتعزيز العلاقات ومناقشة القضايا ذات الاهتمام المشترك», بدءا بتعزيز التضامن الإسلامي وإيجاد حلول لقضايا الأمة وخاصة الأزمة السورية والقضية الفلسطينية, موضحين اتفاقهما بخصوص إنهاء «مأساة» الشعب السوري ووقف «المجازر» التي يرتكبها نظام الرئيس بشار الأسد ضده, هذا الشعب الذي «يناضل من أجل الحصول على حريته ويواجه آلة القتل والبطش من قبل النظام السوري الذي هو على وشك الزوال» وفق تصورهما المشترك.

ويمكننا الجزم بأن غياب السعودية أضعف من نتائج المؤتمر كثيرا, حتى أن اجتماعات هذه اللجنة لم تُسفر عن شيء ذي معنى بخصوص الملف السوري, وهي لن تنجح في مهمتها لوقف إراقة الدماء في سوريا, لأن نظام الأسد وحليفته إيران لن يسمحا بذلك كما تواترت التصريحات, إضافة للفيتو الروسي الصيني الذي يشكل جدار الحماية الأخير للنظام من أي قرار أممي, لكن علينا الاعتراف أن اللجنة الرباعية نجحت بتأسيس ناديا للدول العظمى في المنطقة، رغم رفض السعودية عضويته, وهذا الأمر سيصب بالضرورة في مصلحة ايران والتي لم تتأخر في الدعوة لاستضافة القمة التالية لاجتماعات الرباعية التي ترغب بأن تبقى ثلاثية, او أن تضيف لها العراق لتعديل التوازن ضمن اللجنة. لكن الاقتراح الأهم الذي تقدمت به داخل القمة, وسارع وزير خارجيتها علي أكبر صالحي إلى نقله في اليوم التالي إلى دمشق هو: اقتراح ارسال مراقبين من دول مجموعة الرباعية الى

سورية, بهدف منح النادي العتيد حظوظا من الوجود والشرعية على حساب المبادرات الدولية من قبل الأمم المتحدة أو مجلس الأمن, أو المبادرات العربية باسم جامعة الدول العربية, أو حتى تجمعات أخرى كأصدقاء سوريا مثلاً.

فنظام الملالي في طهران شريك كامل في قتل للشعب السوري وفي تدمير سوريا, إذ لم يعد خافيا على أحد تزويد طهران لنظام الأسد بالأسلحة, حتى أن تقرير الأمم المتحدة لشهر مايو/ أيار ٢٠١٢ خلص إلى اعتبار سوريا هي الطرف الرئيسي لمبيعات السلاح الإيرانية غير المشروعة.

وما هو أخطر من ذلك اعتراف بشار الأسد في لقائه الأخير مع وزير الخارجية الإيراني علي أكبر صالحي، بأنه: «ليست سوريا المستهدفة الوحيدة، بل الهدف هو القضاء على محور المقاومة بمجمله» قاصداً إيران وحزب الله.

حتى أن اللواء حسن فيروز آبادي، رئيس الأركان العامة للقوات المسلحة الإيرانية, لم يكتف بتصريحات قائد الحرس الثوري الإيراني محمد علي جعفري التي أكدت أن «الحرس الثوري موجودون في سوريا لتقديم العون غير العسكري، وإن إيران ربما تنخرط عسكرياً هناك في حال تعرض سوريا لهجوم». بل سارع يوم الجمعة ٢١-٩-٢٠١٢ لطمأن الأسد بأن «الحرب الجارية في سوريا هي حرب بلاده»، مؤكدا لوكالة الأنباء شبه الرسمية «إيلنا» تصورات الأسد بقوله «ما قاله السيد بشار الأسد صحيح، لأن سوريا تشكل الخط الأمامي للمقاومة في التصدي للكيان المحتل للقدس، وقد حافظت على هذا الخط منذ أعوام». لكن مالم يقله رئيس الأركان الإيراني «ان بلاده تشكل خط التصدي الأول للشعب السوري وطموحاته بالحرية».

من هنا خطورة الاقتراحات الإيرانية بشأن المراقبين من اللجنة الرباعية, وخطورة هذه اللجنة أساساً والتي يمكن أن تشاغب على الجهود العربية والدولية لدعم الشعب السوري وثورته باتجاه الحرية, لذلك أبدت المعارضة السورية تحفظاتها على اللجنة الرباعية وعلى مشاركة إيران في أية جهود بخصوص الثورة السورية, كما أكد رئيس المجلس الوطني السوري عبد الباسط سيدا تحفظه على مشاركة ايران في مساعي ايجاد حل للعنف في سورية.

مصطفى يعقوب...
وصفحته "فنون من قلب الفوضى"

يارا بدر

نعيش في زمن الجنون, وتسرقنا لوحات تبدو في بعض اللحظات كمرآة لأرواحنا, بألوانها الباهتة, بذاك الأخضر الشاحب, باللون الأسود أو الرمادي أو الترابي الحاضر في كل واحدة منها بتجلٍ مُغاير عن سابقه, بتشظي موضوعها وكثرة تفاصيلها, بغياب منطقها الكلاسيكي.. تسرقنا لوحات إلى عوالمها السريالية التي تشبه في منطقها المُتكسّر سُريالية حياتنا اليومية.

من أرض دير الزور في سوريا, من ترابها وفراتها, غادر مصطفى يعقوب, مهندس الاتصالات, إلى المانيا, يبحث عن مساحة لأحلامه, عن فضاء آخر لحياته. هناك حيث ذهب "يعقوب" خلف هوىً سكنه رغم دراسته الأكاديمية البعيدة كل البعد عن الفن, والذي حصل على منحة دراسية لمتابعته والتعمّق فيه من كلية الفنون بجامعة "فايما", ويقول عنه: (لطالما كان الفن بكل أشكاله المرئية والمسموعة والمقروءة عشقي الذي لا يدانيه عشق آخر...).

المساحة, هي المفردة الأكثر حضوراً في لوحات المصمم "يعقوب", غالباً ما يبرز موضوع اللوحة بالاستناد إلى الخلفية الواسعة من الفراغ, إلى تناقض الألوان أو تباين حدّتها ودرجتها ضمن اللون الواحد, وحتى إن انتثرت عناصر الموضوع في مُجمل الفضاء يبقى صغر حجمها ودقة تفاصيلها, مقابل الخطوط القاسية الواضحة للخلفية العامة, عاملاً يُضفي المزيد من الضياع على تلك العناصر لصالح ثبات الفراغ الكبير. فهناك في تلك اللوحة التي كتب "يعقوب" تعريفاً بها: (في عالم بلا قوانين ...هل تستطيع أن تميز الحدود ؟؟؟), نقف شبه عاجزين عن تحديد منظور الرؤية, عن رؤية المحور الثابت في اللوحة, فهياكل البنايات الإسمنتية الضخمة تنهض كل منها على محور مستقل, وتتعددّ المستويات, فيبدو كل شيء مائل ومستقيم في ذات اللحظة.

*- عن هذه المفردات, عن تكتنيك العمل يقول "يعقوب":

**- تكنيك العمل أو النمط الفني الذي أعشقه وأعمل عليه هو تكنيك "الفوتومينيبوليشن", وهي تقنية تعتمد على تجميع عدة صور (عادية) بهدف خلق صورة مركبة وهمية توصل فكرة معينة يصعب إيصالها عن طريق الصور الفوتوغرافية التقليدية...طبعاً أنا أحبذ وأعشق النمط السريالي من تقنية "مينيبوليشن الصورة", وهو نمط فوق واقعي...قريب من الحلم.. من فكرة تعترينا ولا يمكن أن نُعبّر عنها إلاّ بتجاوز الواقع , لنركب قطار الأحلام ونستسلم له فيأخذنا إلى عوالم شائقة وغريبة تحتوي بين طيّاتها صوراً وأفكاراً لانهائية...فكما في لوحة (عدّاد الموت) انتابني شعور غريب بعد رؤية جسد الطفلة فاطمة الصغير الغض بسوارها الأحمر وهو متفجر الرأس...لقد كانت الصورة بحد ذاتها لوحة سريالية.. فتراءت لي ساعة الصفر, أو ما يُعرف ب "الساعة الرملية",

وهي عداد الموت وربطه بساعة الصفر, ساعة الصفر أوحت لي أنها اللحظة التي سوف ينعدم فيها الأطفال, فذلك النمط الرملي اليدوي يوحي لك أنّ ما يحصل بأطفال سوريا هو شيء مقصود وليس آثاراً جانبية لحرب ضد المدنيين.. وذلك الغراب الذي يُمثّل كل العالم الذي أخذ دور المُتفرّج, المُراقب, بشرقه وغربه, كلهم ينتظرون انعدام هذا الجيل الجديد الذي لا ينتمي لزمن الخوف, بل خرج من رحم الثورة والحرية...فأكثر ما يرعب هذا العالم هو هذا الجيل...

الثورة وكل الأحلام التي تثيرها كعاصفة من ريح, وكل الألم والجنون الذي فُرِضَ على ثنايا أيام السوريين كضريبة لازمة لكل من آمن بالثورة, يحضر كل هذا كموضوع شبه رئيسي في تصاميم "يعقوب", وكأنّه المركز. فنجد الموت, نجد اللون القوي الذي يكسر ثبات الرؤية في التصميم من أخضر علم الاستقلال الخاص بالثوّار, إلى أحمر الدم القاني, نجد غراب الموت والجثة, وتنهض لوحة خاصة بحشد ثائرين يسيرون نحو هدفهم, حيث يُشكّل هؤلاء الثائرون المركز والموضوع, نراهم بعين "يعقوب", نراهم بعين مراقب يركب سيارته وينظر في مرآته الجانبية فيرى الحشد قادماً من خلفه, ولا شيء في هذا الإطار الذي يُحيط بصورة الحشد سوى الملاحظة التي كتبت بالإنكليزية, وترجمتها: "انتبه إنّ الأحجام أقرب إليك ممّا تبدو في المرآة", بكل ما تضيفه هذه الملاحظة شديدة العادية من قوّة وثقة على مجمل اللوحة.

*- هذا الواقع, الذي يحضر في بعض أعمال "يعقوب" كما هو, وفي بعضها الآخر يتفكك في مسارات الفن من السُريالية إلى الكاريكاتير, يقول عنه "يعقوب" وعن علاقة واقع بلاده البعيد جغرافياً عنه بأعماله:

**- بالتأكيد لا يمكن للفنان أن ينفصل عن الواقع الذي يعيشه في كل لحظة, فالفن بالنهاية انعكاس لمشاعر الفنان الممتزجة والمتداخلة بشكل معقد جداً مع الواقع. قد ابتعد بين الحين والآخر وأصنع عملاً فنياً مُجرّداً ومُنفصلاً عن الثورة, ولكن شيئاً ما في أعماقي لا يتوقف عن الصراخ بأنّ ما قدمت هو عمل فني مبتور, فالفن برأيي هو رسالة قد تكُتب بأنماط متعددة وأساليب متنوعة, ولكن المهم فيها هو أن تكون مقروءة...وسر قراءتها بشكلها الصحيح هو الواقع...

*- في سؤال مباشر, عن رؤية "يعقوب" للآليّة التي انعكس فيها واقع سوريا على أعماله, يُعيدنا في جوابه إلى مدرسته السُريالية, ويقول:

**- السريالية بحد ذاتها هي انعكاس لما تعيشه سوريا من آلام وقتل ودمار, لأنها بالأساس وليدة حرب وآلام, وتمرّد على الواقع الذي نعيشه. فأنا أرى العديد من نقاط التقاطع بين السريالية والثورة السورية. أهمها الألم والتمرد.

*- هل يتمرّد "مصطفى يعقوب" على ذاته, ويُغرّد خارج مزاجه السُريالي أحياناً, في رحيله المُتقطّع خلف تجريب الكاريكاتير, اين يرى نفسه؟

**- بالرغم من أنه تنتابني بعض الأفكار الكاريكاتورية بين الحين والآخر, لكني مؤمن أنّ هذا الاتجاه ليس ما أستطيع أن أبدع فيه...والفن بالنهاية اختصاص..

قبل فترة قصيرة نشر "يعقوب" على صفحة أعماله على موقع "الفيس بوك" والمُسماة "فنون من قلب الفوضى" لوحة كتب تعريفاً بها: (طال الانتظار...وطالت معه لهفة الترقب الوحشيّة في أعماقنا...فمتى سيكتمل بدرك يا ساعة الصفر...). وكما ذلك الذئب الوحيد يطلق لنفسه حريّة ملئ المدى بصرخته, يراقب الساعة, وهي قمره وسماءه, ويصرخ, مثله نتساءل عن غدنا, غد سوريا بعد كل ما عاشته وتعيشه من أمل وجنون, حول هذا يقول "يعقوب":

**- أحب أن أتوجه بالشكر إلى مجلة "حرية" على إجرائها هذا الحوار الجميل, وتسليط الضوء على الجانب الفني من الثورة السورية العظيمة. إنّ سوريا الغد هي الشمس التي سوف تسطع على العالم أجمع, وانا واثق جداً من كلامي, ولكن ما يحزننا جميعاً هي الفاتورة التي ندفعها كل يوم وعلى وجه الخصوص من الأطفال كضريبة لصمتنا على مدى أربعين عاما من الديكتاتورية والتخلّف..

للتواصل:

رابط صفحة أعمال الفنان مصطفى يعقوب:

https://www.facebook.com/abo.jacoub

عبد الكريم العقدة.. حكاية ثورة اسمها سوريا

يوم الخميس ٢٠/ أيلول/ ٢٠١٢, كان اليوم الأخير الذي رفع فيه «عبد الكريم العقدة» كاميرته الفيديو وصوّر مأساة ليست الأولى ولن تكون الأخيرة في مدينة حماة. عبد الكريم العقدة حكاية ثورة اسمها سوريا, بعمره الفتي, بشجاعته الخاصة, رحل عبد الكريم خلف حلم الثورة, خلف أمل بأنّ من حقه أن يكون مواطناً يحلم بهويّة ووطن.

من الصعوبة بمكان كتابة كلمات تفي المواطن الصحفي حقه وتكون أجمل أو أصدق من كلمات زملاءه الذين شاركوه الحلم, واثنان منهم شاركوه نار الموت التي التهمتهم. في نعيه كتبت شبكة «شام» التي عمل معها العقدة وزميله مراسلاً ومصوراً الكلمات التالية:

(تزفّ إليكم شبكة شام مراسلها في حماة الشهيد عبدالكريم العقدة, الذي استشهد اليوم في اقتحام حيّ الأربعين بحماة ... حرقاً .. مع ثلاثة من رفاقه. المصوّر البطل عبدالكريم العقدة , المعروف بـ «أبو حسن» أو«كرمو», و الآن «الشهيد». أبو حسن, كنّا نسمّيه «رجل المخاطر في حماة «, لم يُطلب إليه يوماً تصوير أيّ فيديو مهما كان خطراً و يهدّد حياتَه و رفض, بالعكس كان هو من يبحث عن مكان الخطر قريباً من القصف والاقتحامات والشبيحة ليصوّر فيه وينقل الحقيقة, كان يتمنّى الشهادة, كما يعرف كلّ رفاقِه, بما فيهم رفاقه الذين يعانقهم الآن في السماء .

١٢٥٢ هو عدد الفيديوهات المحمّلة على قناته في اليوتيوب, وعدد المرّات التي كان ينتقم فيها للشهداء بشقّ طريق الحقيقة نحو العدالة, وعدد المرّات التي أمسك فيها الكاميرا وهو يهمس : يا ربّ الشهادة , و عدد المرّات التي أمسك فيها التاريخ كيلا يضيع و كيلا ننسى ... و لن ننسى.

اليوم , في حيّ مشاع الأربعين, حين كان أبو حسن و رفاقُه: نضال بكور و حمزة بكور و باسل كنان, مستعدّين لبدء يوم جديد من الثورة ومجابهة العدم بالإيمان, كانت قوّات من عصابة الغدر تطوّق المنزلَ الذي هم فيه .... قُتلوا أربعتهم ... ثمّ حُرق المنزل عليهم ... و كانت حماة تجدّد حزنَها الذي لم يجفّ كنهرٍ طويل من الدم و الدموع و الأمل ...

كانت الثورة منذ اليوم الأوّل تفجّرَ الحقيقةِ في وجه الكذب, والأخلاق في وجهِ الوحل, والكرامةِ في وجه المذلّة, والهتاف في وجه الخَرَس, والإنسان في وجه الوثن).

رحل عبد الكريم العقدة بكل جماله وخصوصيته, رحل ولا يزال الحلم مستمراً, كما لا يزال اعتقال زوجته مستمراً منذ أكثر من شهرين في سجون النظام السوري بسبب نشاط زوجها الإعلامي. الرحمة لعبد الكريم العقدة وزملاءه, وشهداء سوريا, والحرية لزوجته والمعتقلين دفاعاً عن كلمة, وحلم, وهويّة.

"حنطة" جريدة مدينة سلمية

صدر قبل أيام العدد (٠) من جريدة "حنطة" الشهرية, الصادرة عن المكتب الإعلامي لمدينة سلمية وريفها في ثماني صفحات, تتحدّث عن مشاركة المدينة وريفها في الثورة وموقفها من كل ما فُرِضَ على الثورة وما أفرزته الثورة بدورها. في الصفحة الأولى نقرأ بقلم "فائق المير" عن "السلمية مدينة البحث الدائم عن الحرية" والتي كانت تظاهرتها الفاصلة: ((في /الجمعة العظيمة/ حيث اندفعت الجموع التي قاربت الخمسة عشر ألفاً إلى الساحة الرئيسية, واحتلتها عدة ساعات, وهي تهتف لنصرة المدن الثائرة وللحرية وتنادي بإسقاط النظام)), في الصفحة الثانية يكتب "عقاب يحيى" عن "الطائفية مرة أخرى", هذا المجال الذي يُعد واحداً من أهم الأبحاث النقاشية المفتوحة اليوم في سوريا يتتابع بتلاوين مختلفة في صفحات الجريدة, ففي الصفحة الثالثة التي كتبها د. "عزام أمين" نقرأ رؤيته ل "سوريا والهوية الطائفية والإثنية", وفي الصفحة السادسة نقرأ "الوحدة الوطنية.. سلمية مثالاً" بقلم "إيمان المصطفى".

وسط هذه المقالات فكريّة الطابع, تبدو الصفحتان الرابعة والخامسة المعنونتان "جرن حنطة" الأقرب إلى روح مدينة سلمية, وخصوصية الجريدة, وهما صفحتان خاصتان بأخبار المدينة وريفها. من اسُتشهد ؟ من انشق؟ ما هي أبرز المظاهرات؟ أخبار الاعتقالات والمعتقلين؟ كلٌّ بحسب تاريخه, ومنطقته.

الصفحة الأخيرة للإبداعات, والصفحة ما قبل الأخيرة كتبها "ابو غيفارا" حول "أنوثة الثورة السورية– رقصة الحرية".